مجلة جامعة الملك عبد العزيز : العلوم الهندسية ، م٨ ، ص ص ٢٣ - ٤٤ (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م)

تطـــور عمـــارة المساجـــد في مدينـــة الريـــاض بالمملكة العربيـة السعوديـــة

محمد حسين البراهيم

قسم التخطيط والتصميمات العمرانية ، كلية العمارة والتخطيط ، جامعة الملك سعود

الريـــــاض - المملكة العربية السعودية

المستخلص . يهدف هذا البحث إلى تتبع تطور عمارة المساجد في الرياض منذ بزوغ فجر الإسـلام وحتى عصرنـا الحاضر ، واستقصاء العوامل التاريخية والاقتصادية والبيئية التي ساهمت في هذا التطور . يبدأ البحث بنبذة عن تطور عمارة المساجد في العالم الإسلامي بصـورة عامة ، ابتداء من المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة . بعد ذلك يناقش البحث تصنيف طرز المساجد في العالم الإسلامي ، ويتطرق إلى عناصر المسجد الرئيسة قبل أن ينتقل إلى استعراض تاريخي لتطور عمارة المساجد في الرياض . يلي ذلك تصنيف للمساجد الموجودة في الرياض واستعراض لبعض الأمثلة المختارة . حتى منتصف القرن العشرين كانت مساجد الرياض تبنى من الطين ، مادة البناء الرئيسة في المنطقة الوسطى . كانت أغلبية المساجد عبارة عن فناء جدرانه من اللبن ، بأحد جوانبه رواق سقفه من جذوع الأثـل وسعف النخـل والطين . بعد زيادة الدخل القومي في النصف الأخر من القرن العشرين أصبحت الخرسانة هي مادة البناء الرئيسة ، وشاع استخدام المكيفات الصحراوية ثم المكيفـات الفـريونية . بسبب احتياجات تكييف الهواء تحول الرواق والفناء إلى قاعة مغلقة . وظهرت المنارات العالية والقباب ، التي كان يصعب بناؤها من الطين . وأصبح هنـاك تنـوع كبـير في الـطرز المعـمارية لمسـاجد الرياض يعكس تنوع الخلفيات الثقافية للمصممـين المعـماريين الذين صمموها . إضافة لذلك هناك محاولات لتصميم مساجد حديثة تجمع بين التقنية الحديثة وسمات العمارة التقليدية التي كانت شائعة في المنطقة الوسطى .

١ . مقـــــــدمـة

تحتل دور العبادة أهمية خاصة في كل المجتمعات . وبإمكان الزائر في معظم البلدان التعرف على المسجد أو الكنيسة أو المعبد (حسب ديانة أهلها) بسبب كبر حجم البناية وارتفاع مناراتها أو أبراجها وتميز طريقة

بنـائها . والعالم الإسلامي غني بمباني المساجد التي تعتبر تحفًا معمارية ، والتي بنيت في أحقاب تاريخية مختلفة ، لكن حظ الجزيرة العربية منها قليل ، إذا استثنينا بالطبع الحرمين الشريفين في الحجاز . ويعود ذلك إلى سوء الأحوال ا لاقتصادية التي كانت سائدة ، بسبب قلة الأمطار وكون غالبية أراضي الجزيرة غير صالحة للزراعة . وربما كان ذلك هو السبب الرئيس في انتقال الخلافة الإسلامية إلى خارج الجزيرة في وقت مبكر من التاريخ الإسلامي . وحيث إن فن العمارة في أي بلد هو انعكاس للنشاط الاقتصادي فيه ، فقد كانت العمارة في الجزيرة العربية بدائية بصورة عامة .

وهكذا فإلى عهد قريب لم يكن بالجزيرة العربية مساجد يمكن اعتبارها أعمالاً معمارية ملفتة للنظر ، إذا ما استثنينـا الحـرمـين الشريفـين ، مع إن الجـزيرة هي مهد الدين الحنيف ، وفيها بني أول مسجد في الإسلام . في المنطقة الوسطى كان الطين هو مادة البناء الرئيسة ، وكانت المساجد عبارة عن فناء مستطيل مسور ، يحتل الجزء الغربي منه رواق يحمي المصلين أثناء النهار من أشعة الشمس الحارقة . وفي القرن العشرين منَّ الله على الجـزيرة باكتشـاف البـترول وتضاعف الدخل القومي وازدادت حركة العمران ، وانعكس ذلك بالطبع على عمارة المساجد ، وأصبح في المملكة (وفي الرياض خصوصًا) عدد من أروع المساجد الحديثة الموجودة في العالم . في هذا البحث المعني بتطور عمارة المساجد في الرياض سنتطرق أولاً إلى عنـاصر المسجـد المعمارية ، ثم إلى تصنيف طرز المساجد قبل أن نستعرض التطور التاريخي لعمارة المساجد في الرياض وندرس بعض الأمثلة المختارة من المساجد الحديثة الموجودة بها .

٢ . عناصـــــر المسجـــــــد

كانت المساجد الأولى في الإسلام غاية في البساطة ، ولم تتعدى كونها فناءً مستطيلاً محاطًا بأربعة جدران وله عدة مداخل وبه رواق في جهة القبلة . ويذكر أن المسجد الذي بناه سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) سنة ٦٣٨م في الكوفة ، وهو أول مسجد بني بها ، لم يكن له جدران وإنما حُددت أرض المسجد عن طريق خندق طولي في الأرض[١، ص١٣] . ويقول المؤرخون أن المسجد النبوي الشريف في بداية الأمر لم يكن سوى فناء صغير مستطيل ، شبه مربع ، أحد ضلعيه ٣٠ مترًا والضلع الآخر ٣٥ مترًا[٢، ص٥١]، أُضيف إلى الجانب المقابل لمكة المكرمة عريشة من سعف النخيل . وأُضيف إلى الجهة الأخرى عريشة أخرى لإيواء فقراء المسلمين الذين كان بعضهم ينام في المسجد (شكل ١) . ولم يكن استعمال المسجد الأول مقصورًا على أداء الصلوات ، بل كان موضعًـا لنشاطات مختلفة ، مثل الاجتماعات والدروس الدينية ، كذلك أُستعمل المسجد كمستشفى لعلاج المرضى أحيانًا ، ومعتقلا للأسرى[٣، ص١٤٣] . وقد أُضيف المنبر إلى المسجد النبوي في عهد رسول الله ﷺ ولم يكن بالمسجد النبوي محرابًا أو مناراتًا عند وفاته ﷺ ، وإنما أضيف المحراب والمنارات في التوسعة التي أمر بها الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، ونفذها واليه على مكة المكرمة حينئذ عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، ما بين عامي ٨٨ و ٩١هـ[٤، ص٣٧] .

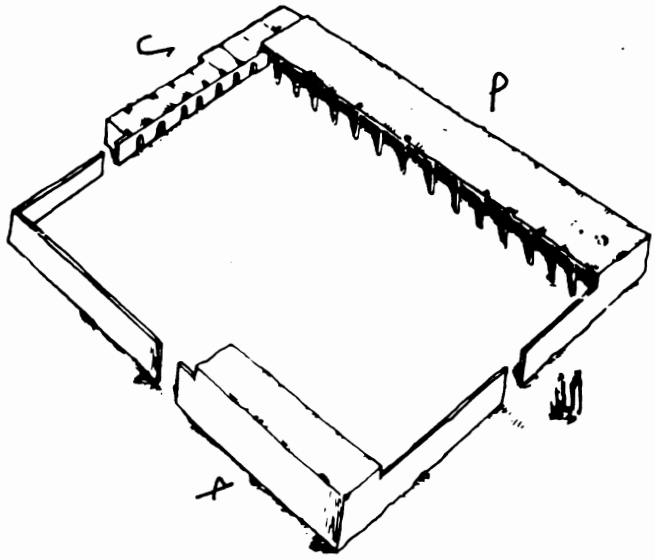

شـــكل ١ . المسجد النبوي في بدايته[٤، ص٣٤].
أ - المظلة (منطقة الصلاة) . ب - حجرات زوجات الرسول رضي الله عنهن .
جـ - الصُفَّـة ، حيث كان ينام بعض الصحابة .

وليس من السهـل تحديد عنـاصر المسجـد بسبب تنـوع الطرز المعمارية في أصقاع العالم الإسلامي المختلفة . مع ذلك يمكن القول بأن عناصر المسجد الرئيسة تتمثل في منطقة الصلاة المغطاة والصحن والمحراب والمنبر والمنارات والميضأة . وقد يكون ببعض المساجد عناصر أخرى ، كأماكن للدراسة ومقصورة ومصلى نساء ودورات مياه ، وقد يضاف سكن للمؤذن بحيث يلاصق المسجد .

كان المنبر في عهد الرسول ﷺ عبارة عن ثلاث درجات خشبية ، لكنه تطور عبر العصور ليصبح منصة مرتفعة يصل إليها الخطيب من خلال سلم خشبي مزخرف . ويوجد المنبر عادة في المساجد الكبيرة التي تقام بها صلاة الجمعة .

أما المحراب فهو تجويف أو زخرفة في وسط الجدار المواجه للقبلة ، الغرض منه توضيح اتجاه القبلة . وليس هناك اتفاق على أصل كلمة محراب مع أن كلمة محراب قد ذكرت في القرآن الكريم أكثر من مرة . ويُرجع بعض المستشرقين الكلمة إلى أصل حبشي ، على افتراض أنها وصلت إلى الجزيرة العربية عن طريق اليمن[٥، ص٢١٨] . وقد صاحب ظهور المحراب لأول مرة في المساجد بروز معارضة من بعض رجال الدين لبناء المحاريب على أساس أنها بدعة سيئة ، وأنها تقليد للمحاريب (Apses) الموجودة في الكنائس وفي المعابد[٥، ص٢٣٣]، لكن المحراب أصبح الآن عنصرًا رئيسًا من عناصر المسجد ، وقد جرت العادة أن يكون

في كل مسجد محراب واحد ، إلا أن هناك بعض المساجد الأثرية الهامة التي يوجد بها أكثر من محراب مثل الجامع الأموي في دمشق . وقد كان في المسجد النبوي ستة محاريب في سنة ١٩٢٥م[٥، ص٢٣٣]، ولكن لايوجد الآن في المسجد النبوي سوى ثلاثة محاريب[٦، ص٢٨].

ويصنف حسن الشستاوي[٧، ص١٠٥] المحاريب من حيث مسقطها الأفقي إلى أربعة أنواع :

١) المحاريب المسطحة أي تلك التي تكون زخرفة على نفس مستوى الجدار .
٢) محاريب تجويفها دائري .
٣) محاريب تجويفها مستطيل أو مربع .
٤) محاريب تجويفها كثير الأضلاع .

والمقصورة عبارة عن منطقة تضم المحراب والمنبر محاطة بسور خشبي ، الغرض منها توفير بعض الحماية للإمام ، ويذكر هوج[٢، ص١٥] أن أول ظهور للمقصورة في المساجد كان في توسعة المسجد النبوي التي أمر بها مروان بن عبد الملك سنة ٧٠٦م . لكن الشيخ طه الولي يرجح أن أول من اتخذ مقصورة في مسجد هو الخليفة معاوية بن أبي سفيان[٥، ص٣١٣]. وفي مسجد البصرة الذي بناه زياد بن أبيه أمر بفتح باب في جدار القبلة لكي يصل المقصورة مباشرة بدار الإمارة ، وبذلك يستطيع الإمام الدخول إلى المسجد وإلقاء الخطبة بدون الحاجة إلى المرور وسط الناس الحاضرين . وقد عارض بعض العلماء أيضًا بناء المقاصير في المساجد مما جعل المهدي (ابن الخليفة المنصور العباسي) يأمر بإزالة المقاصير من المساجد ، ثم عادت المقاصير إلى الظهور في مساجد المماليك والعثمانيين ، إلا أنها اختفت الآن من غالبية المساجد[٥، ص٣١٦].

وفي بعض المساجد الأندلسية ومساجد شمال إفريقية وصقلية يوجد ممر مسقوف يوصل من قصر الحاكم إلى المسجد[٨، ص٥٢].

كان بلال (رضي الله عنه) يؤذن للصلاة من فوق سطح أحد البيوت القريبة من مسجد الرسول ﷺ ، ولم تبنى منارات في مسجد الكوفة الذي بناه زياد بن أبيه سنة ٦٧٠م ، والذي يعد من أوائل المساجد التي بنيت في الإسلام . ويرى كريزويل[١٠، ص٥٨] أن المنارات ظهرت لأول مرة في المساجد في دمشق عندما بنى الوليد بن عبد الملك المسجد الأموي (بين سنة ٧٠٦ و ٧١٥م) على أنقاض معبد وكنيسة بيزنطية كان بها أبراج تم تحويلها إلى منارات . أما سعاد محمد[١٠، ص ص١٨٣-١٨٤] فترى أن أول منارة بنيت في الإسلام كانت في مسجد عمر بن العاص في مصر بأمر من الخليفة معاوية ، وكانت على غرار منارة في ميناء الإسكندرية لهداية السفن ، ومن هنا جاءت التسمية . ويرى عبد الحليم غالب[١١، ص٣٣٣] أن أولى المآذن في الإسلام بناها بالحجارة في البصرة زياد بن أبيه عامل معاوية على العراق سنة ٤٥ للهجرة ، أي سنة ٦٦٥م . وأصبحت المنارات بعد ذلك سمة رئيسة من سمات المسجد وعنصرًا معماريًا بارزاً يتفنن المعماريون في تصميمه . والمنارة على العموم هي برج مجوف يحتوي على سلم حلزوني يصعده المؤذن لأداء الآذان ، وقد يكون في المنارة شرفة أو أكثر . ويختلف طراز المنارات من إقليم إسلامي إلى آخر ، فنجد المنارات في

المغرب العربي مثلاً مربعة وسميكة وذات علو متوسط ، بينما منارات المساجد العثمانية نحيفة وعالية ودائرية .

وإلى جانب العناصر الرئيسة السالفة الذكر نجد عناصر أخرى مثل الميضأة ، وتتكون من خزان للماء أو بركة ماء تستخدم للوضوء . ويذكر الطبري[١٢، ص٩] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول من أدخل الميضأة إلى المساجد . في بعض المساجد في مصر وتركيا تكون الميضأة أيضًا عنصرًا جماليًا يحتل موقعا مركزيا في فناء المسجد . أما في المساجد الحديثة فغالبًا ما تبنى دورة مياه ملحقة بالمسجد ويكون بها مكان مخصص للوضوء . وفي بعض المساجد الكبيرة قد يخصص مكان للنساء في مؤخرة المسجد أو في دور يعلو الدور الأرضي ، ويكون له باب ودرج منفصلين عن المدخل الرئيس .

٣. تصنيف المساجـــد من الناحيـــة المعمـــارية والوظيفيـــة

يصنف أحمد عبد الفتاح[١٣، ص٤٦] المساجد من الناحية المعمارية إلى سبعة أنواع :

١) النموذج النبوي (مثل المسجد النبوي) فناء مستطيل مع رواق على جدار أو أكثر .

٢) النموذج ذو المجاز القاطع (مثل المسجد الأموي في دمشق ، حيث يوجد ممر رئيس متعامد على جدار القبلة) .

٣) النمـوذج ذو الأكتاف البنائية (مثل جامع أحمد بن طولون في القاهرة ، حيث الجدران ذات الفتحات المقوسة تحل محل الأعمدة) .

٤) النمـوذج ذو الإيوانـات ؛ فناء مستطيل تحيط به إيوانات مفتوحة عليه (مثل بعض الجوامع المملوكية والأيوبية في مصر) .

٥) الجامع المدرسة ذو الإيوانات ؛ هو جامع إيواني لكن ملحق به غرف للدروس الدينية ولسكن طلاب العلم (مثل مسجد السلطان حسن في القاهرة) .

٦) المساجد المعلقة ، حيث يحتل المسجد الدور العلوي من بناية ، بينما يستخدم الدور الأرضي كمتاجر يوقف ريعها للمسجد ، وهذا الطراز شائع في الحجاز وتركيا ومصر .

٧) النموذج ذو القبة المسيطرة ، ويقصد به الطراز التركي العثماني ، حيث المسجد عبارة عن قاعة ضخمة تغطيها قبة هائلة بالإضافة إلى عدد من القبب الصغار وأنصاف القبب ، مثل مسجد السلطان أحمد في اسطنبول .

أما عبد الواحد الوكيل[١٤، ص٢٢] فيصنف المساجد في أربعة أنواع رئيسة هي :

١) المساجد ذات الصحن المركزي مع أروقة ترتكز على صفوف من الأعمدة ، وإلى هذا النوع تنتمي معظم المساجد التي بنيت في العصور الإسلامية المبكرة .

٢) مسجد المدرسة أو الإيوان مثل مسجد السلطان حسن في القاهرة .

٣) مسجد القبة المركزية مثل مسجد السلطان أحمد في اسطنبول .

٤) المسجد المركب ويشتمل على صحن تفتح عليه أربعة إيوانات أكبرها هو مدخل قاعة الصلاة المسقفة والتي تعلوها القبة الرئيسة . ومن أمثلة هذا النوع مسجد الشاه في أصفهان بإيران .

ويلاحظ أن طريقتي التصنيف المذكورتين غير شاملتين ، إذ أنهما تغفلان مثلاً المساجد ذات المخططات شبه الدائرية ، مثل المخططات المثمنة أو المسدسة ، وهي مساجد تختلف جذريًا عن بقية المساجد من حيث نوعية الفراغ الداخلي والشكل الخارجي للمسجد . وربما كان مسجد قبة الصخرة في القدس أهم وأول مثال على هذا النوع من المساجد . كما أنهما تغفلان ما يمكن أن يسمى بالطراز الحديث ، الذي لا يشتمل على فناء إطلاقًا ، وإنما هو عبارة عن قاعة كبيرة مغلقة ومكيفة .

ومن الناحية الوظيفية يمكن تصنيف المساجد إلى المساجد الصغيرة والمساجد التي تقام بها صلاة الجمعة ، أما مسجد العيد فهو أرض خالية كبيرة ومسورة تستخدم لصلاة الأعياد والاحتفالات .

٤ . عمارة المساجد في منطقة الرياض

قبل نصف قرن من الزمان كان بالإمكان عَدُّ مساجد الرياض على الأصابع ، أما الآن فيمكن تقدير عدد مساجد الرياض بما يزيد عن ٩٠٠٠ مسجد وجامع تختلف كثيرًا في الحجم والطراز المعماري * .

في الماضي كانت المساجد تُبنى من اللبن ، مادة البناء الرئيسة في المنطقة الوسطى ، وكان المسجد في الغالب يتكون من فناء مفتوح تحتل قاعة الصلاة الجزء الغربي منه (شكل ٢) . وغالبًا ما تكون قاعة الصلاة رواقا مسقوفًا بجذوع شجر الأثل ، وسعف النخيل ، والحصير والطين . ولم يكن عرض السقف يزيد كثيرًا عن الثلاثة أمتار . وكانت المنارة ، إن وجدت ، عبارة عن برج مربع ارتفاعه بضعة أمتار ، تكون قاعدته عند نهاية الدرج المؤدي إلى سطح المسجد ويكوِّن ممرًا إلى سطح المسجد . وليس في المنارة التقليدية سلم حلزوني ، وإنما يصعد المؤذن إلى سطح المسجد ومنه إلى المئذنة لأداء الأذان . أما المحراب فهو في الغالب تجويف نصف أسطواني ذو سقف مسطح . وفي العادة تكون المساجد التي تقام بها صلاة الجمعة كبيرة ويوجد بها منبر للخطبة ، وقد يوجد بها صحن . ولا توجد في مساجد الرياض مقاصير ، أو ميضآت منفصلة في وسط الصحن ، كما هو الحال في بعض الأقطار الإسلامية . وقد يوجد بالمسجد خزان صغير للماء لكي يستخدمه المصلون للوضوء .

ويمكن تصنيف مساجد الرياض الحالية من الناحية المعمارية إلى أربعة أنواع : ١) المسجد ذو الصحن والرواق المفتوح على نمط المسجد النبوي القديم ، وهذا التصميم هو السائد في المساجد التقليدية

---

* يذكر الكتاب الإحصائي السنوي (عدد عام ١٤١١هـ الموافق ١٩٩١م) الذي تصدره وزارة المالية أن بالرياض ٦٧٢٦ مسجدا و ١٩٤٣ جامعًا[١٦، ص٢٤٨].

شـــكل ٢ . فنـــاء أحـــد المساجـــد القديمـــة في منطقـــة الريـــاض .
(المصدر : المؤلف)

الطينية ، وفي المساجد التي تُبنى بصورة مؤقتة ؛ ٢) المسجد ذو القاعة المغلقة المستطيلة . ويمكن القول بأن معظم مساجد الرياض من هذا النوع ، وقد يكون لبعض المساجد الكبيرة منها فناء صغير وقد يكون بها قبة ؛ ٣) المساجد ذات المساقط الأفقية شبه الدائرية كالمسدس والمثمن ، وباستثناء مسجد مطار الملك خالد ، فإن المساجد شبه الدائرية يغلب أن تكون صغيرة وأن يكون لها قبة مركزية وأن لا تحتوي على فناء ؛ ٤) المسجد ذو المجاز القاطع ، وفي هذا المسجد كما أسلفنا توضع الأعمدة في داخل قاعة الصلاة ، بحيث تحدد ممرًا رئيسًا يوصل من المدخل إلى المحراب ويكون سقفه أعلى من بقية سقف القاعة ، وقد توضع قبة صغيرة في نهاية هذا الممر . ولست أعرف مثالاً على هذا النموذج في الرياض سوى مسجد جامعة الملك سعـود . وأول مسجد في الإسلام بني بهذا النموذج هو المسجد الأموي في دمشق . وليس في الرياض مساجد إيوانات أو مساجد معلقة أو مركبة .

ومـع أن متطلبات المسجد التصميمية لم تتغير ، فإن دخول التقنية الحديثة إلى طرق البناء أدى إلى تغيرات كبيرة . لقد أعطى استخدام الخرسانة المسلحة للمصمم حرية كبيرة في التصميم الداخلي ، إذ انتفت الحاجة إلى العدد الكبير من الأعمدة ، وأمكن التفنن في استخدام الإضاءة الطبيعية القادمة من السقف أو أعـلى الجدران . وبدلاً من الخطوط اللينة والأسطح غير المنتظمة التي تنتج عن طرق البناء التقليدية بالطين أو الحجر ، وفَّرت الخرسانة المسلحة خطوطًا مستقيمة وزوايا قائمة وأسطح ملساء ناعمة . كما أن استخدام مواد معمارية جديدة سمح بقدر أكبر من الحرية في استخدام الألوان والزخرفة الهندسية .

وكان لاستخدام تكييف الهواء الكهربائي أثر كبير في شكل مبنى المسجد ، إذ إنه يتطلب أن يكون فراغ المسجد مغلقًا لكي لا يتسرب الهواء البارد إلى الخارج . في البداية كانت المراوح الكهربائية هي وسيلة تكييف الهواء الرئيسة ، ولم يكن لها أثر يذكر على التصميم الداخلي للمسجد . ثم تلا ذلك استخدام المكيفات الصحراوية وأصبح من الأفضل أن يكون رواق المسجد مغلقًا كي يتمكن المكيف الصحراوي من تكييف الفراغ بسهولة . وبإزدياد الدخل القومي شاع استعمال مكيفات الفريون ، وهذه بدورها تتطلب فراغًا مغلقًا تمامًا كي تؤدي وظيفتها على الوجه الأكمل . وأصبح من الممكن استخدام فتحات نوافذ كبيرة تغطي بالزجاج وتحفظ الهواء البارد في الداخل . وهكذا تحسنت الإضاءة في المساجد ليس فقط بسبب استخدام المصابيح الكهربائية ، ولكن أيضًا لأن فتحات النوافذ الصغيرة غير المغلقة استُبدلت بفتحات زجاجية كبيرة . وكانت النتيجة أن اختفي فناء المسجد تدريجًا وأصبحت غالبية المساجد في الرياض عبارة عن قاعة كبيرة مغلقة .

ولا يزال المسقط الأفقي للمسجد يتبع النمط التقليدي المستطيل ، ويغلب أن يكون المحور الشمالي الجنوبي أكبر من المحور الشرقي الغربي . ومع ذلك فقد بدأت تظهر مساقط أفقية أخرى مثل المسقط المربع والمسدس والمثمن . وتتميز هذه المخططات بكونها متماثلة على محورين ، وبالتالي تسهل استخدام القبة في التصميم الإجمالي للمسجد ، حيث إن لهذه المساقط مركز واضح يسهل وضع القبة فوقه .

والقبة هي الأخرى تطور جديد في بناء المساجد في الرياض . لم تكن مساجد الرياض ، ولنقل المنطقة الوسطى بصورة عامة ، تحتوي على قباب . ويعود ذلك إلى صعوبة بناء القبة من اللبن الذي كان يستعمل كمادة البناء الرئيسة في المنطقة . وبدخول الخرسانة المسلحة إلى المنطقة في منتصف القرن العشرين بدأت بعض القباب في الظهور . وحيث إن بناء القبة يتطلب قدرًا من المهارة التقنية والمال ، فإن استخدام القبة اقتصر على المساجد الكبيرة . ومعظم القباب في الرياض تخلو من النقوش أو الألوان ، إلا أن هناك بعض القباب التي زخرفت بالقيشاني الجميل ، مثل قبة مسجد الأمير محمد بن عبد العزيز في العليا . والزخرفة بالقيشاني تقليد معماري عريق في كثير من البلدان الإسلامية مثل العراق وإيران وتركيا وأواسط آسيا .

وربما كانت قبة مسجد مؤسسة الملك فيصل الخيرية (من تصميم كنزو تانجيه) أكثر القباب في الرياض تجديدًا ، فهي في الحقيقة ليست قبة وإنما أسطوانة جوفاء لها قعر زجاجي تسمح بدخول الضوء الهادىء غير المباشر (شكل ٣) . وتبدو من الخارج ضخمة جدًّا بحيث لا تتناسب وحجم المسجد . أما القبة الأخرى غير العادية في الرياض ، فهي قبة مسجد ملعب الملز (من تصميم عبد الله أبا الخيل) ، فقد غُطيت القبة بسقف عريض يقلل من أهمية القبة في مجمل شكل المسجد الخارجي (شكل ٤) .

لكن أكثر أجزاء المسجد تأثرًا بالتقنية الحديثة هي المنارة . تحتوي المنارة التقليدية في معظم مساجد الشرق الأوسط على سلم حلزوني يصعده المؤذن لأداء الآذان عند كل صلاة . وكان بناء منارة مرتفعة يتطلب تقنية معمارية لم تكن متوافرة في الجزيرة على نطاق واسع . لذلك كانت المنارات في معظم مساجد

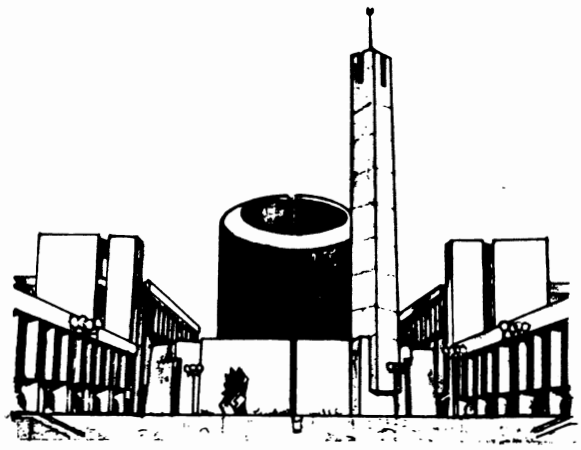

شـــكل ٣ . مسجـــد مؤسســـة الملك فيصـــل الخيريـــة .
(المصدر : المؤلف)

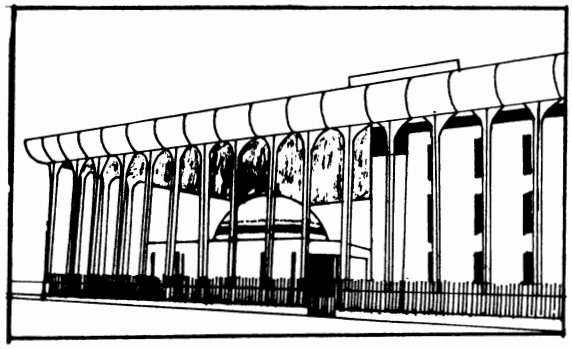

شـــكل ٤ . مسجـــد ملعب المـــلز الرياضـــي .
(المصدر : المؤلف)

المملكة بناءً منخفضًا . ولكن شيوع استخدام الخرسانة المسلحة جعل من الممكن بناء منارات عالية . وفي البداية كانت المنارات الخرسانية تحتوي على سلم حلزوني ، لكن استعمال مكبرات الصوت الكهربائية نفى الحاجة إليه ، إذ أصبح بإمكان المؤذن أن يؤدي الآذان أمام الميكرفون بدون الحاجة إلى صعود المنارة . وهكـذا صار لدى المصمم المعـماري حرية كبـيرة في تصميم المنارة . في مسجد دلة مثلاً نجد المنارات أصبحت كتلة مصمتة ، بينما في أحد مساجد الناصرية أصبحت المنارة شبه شفافة إذ إنها مكونة من عدة أعمدة صغيرة منفصلة .

وليست التقنية الحديثة هي العامل الوحيد الذي حدد معالم المساجد في الرياض . إن تنوع الخلفية الثقافية للمصممين الذين شاركوا في تصميم مساجد الرياض كان له أثر كبير على تنوع الأطرزة المعمارة المستخدمة ، وإثراء الرياض بأعمال معمارية في غاية الجمال . إن مسجد دلة مثلاً شبيه بالمساجد التركية بمناراته النحيفة التي تشبه أقلام الرسم وقببه المتعددة . كذلك نرى الطابع التركي في مسجد الملك خالد في أم الحمام (شكل ٥) . وفي السليمانية يوجد مسجد بُني على الطراز المصري المملوكي ، كما يمكن التعرف على تأثيرات باكستانية في أحد مساجد الشميسي إذ إن منارته ذات مقطع مربع ، كما أن الشرفة الوحيدة في المنارة بارزة ومظللة . وفي حي المربع توجد منارة سميكة ومربعة تشبه المنارات في شمال إفريقيا والأندلس إلى حد كبير .

شكل ٥ . مسجد الملك خالد في حي أُم الحمام .
(المصدر : المؤلف)

وإلى عهد قريب كان جامع الديرة في وسط الحي التجاري في الرياض من أكبر مساجد الرياض وأقدمها (شكل ٦) ، وقد بني في الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي من الطوب الطيني والحجر على بقايا مسجد من الطين بناه الإمام تركي بن عبد الله سنة ١٨٢٤ بعد أن طرد القوات العثمانية من المدينة[١٦، ص١٥٦] . وكان المسجد من الداخل غابة من الأعمدة إذ كان مسقوفًا بجذوع الأشجار والطين حسب الطريقة التقليدية ، حيث عرض السقف لا يزيد عن الثلاثة أمتار . وقد هُدم مؤخرًا ليحل محله مسجد حديث ضمن خطة لتطوير منطقة وسط المدينة في الرياض .

ولا يمكننا في هذا البحث القصير التطرق إلى كل المساجد الجديرة بالدراسة في الرياض ، ولكننا سنستعرض لبعض من أهمها . إن مسجد مطار الملك خالد الدولي (شكل ٧) ، الذي يبعد حوالي ٤٠ كم عن الرياض ، هو واحد من أجمل المساجد في منطقة الرياض ، وهو من تصميم المكتب المعماري الأمريكي اتش أو كي الذي قام أيضًا بتصميم مباني جامعة الملك سعود . مسقط المسجد الأفقي سداسي ، وهو نمط بسيط سهل التعرف عليه ، سواء من الداخل أو الخارج . ويبدو أن السبب الرئيس

شـــكل ٦ . مسجـــد الديـــرة في الرياض قبل هدمـــه[١٦، ص١٥٧].

في اختيار المسقط السداسي هو الرغبة في تكامل المسجد مع مسقط صالات المسافرين التي تعتمد المثلثات المتساوية الأضلاع (والتي تُكوِّن كل ستة منها مسدسًا) كنموذج متكرر في السقف وفي توزيع الأعمدة .

في هذا المسجد تندمج الجدران مع السقف في حركة رشيقة مستمرة سامية نحو السماء لكي تتوج بقبة أنيقة . ويبدو على سطح القبة الخارجي زخرفة سطحية خفيفة (هي في الحقيقة أضلع القبة الجيوديسية) يشكل اكتشافها مفاجأة لطيفة يكافأ بها من يأتي لزيارة المسجد عن قرب والتمعن في جماله المعماري . ويبلغ قطر قاعدة القبة ثلاثة وثلاثون مترًا وتحملها ستة أعمدة ، ويفصلها عن بقية السقف طوق زجاجي يُدخل الإضاءة الطبيعية ويجعلها تبدو وكأنها تطفو على هذا الطوق الضوئي . وقد زُخرفت قاعدة القبة من الداخل بالقيشاني الأزرق الذي نقشت عليه آيات قرآنية ، كما زخرف سقف المسجد من الداخل بالأضلع الخرسانية التي تحمل السقف ، والتي تُكوِّن نمطًا زخرفيًا جميلاً .

وهائل حجم هذا المسجد فقد صُمم لكي يكون قادرًا على استيعاب خمسة آلاف مصلي . وربما كان من الممكن تصميم مسجد أصغر من هذا إذا أخذنا في الاعتبار أن عدد المصلين في هذا المسجد في أي وقت من الأوقات لن يكون كبيرًا بسبب بعده عن المدينة ووجود أماكن عديدة للصلاة داخل صالات المسافرين . ويبدو أن القصد من بناء مسجد بهذا الحجم في مطار الرياض ربما كان للرمز إلى أهمية الإسلام في المجتمع السعودي ، خصوصًا وأن المسجد موجود في بوابة الرياض التي هي بدورها بوابة للمملكة بأجمعها .

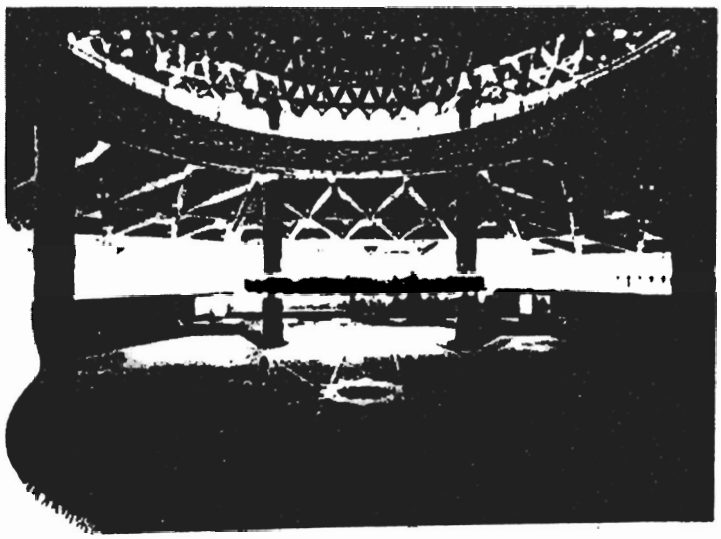

شـــكل ٧ (أ) . منظر عـــام لمسجـــد مطـــار الملك خالد في الرياض .
(المصدر : المؤلف)

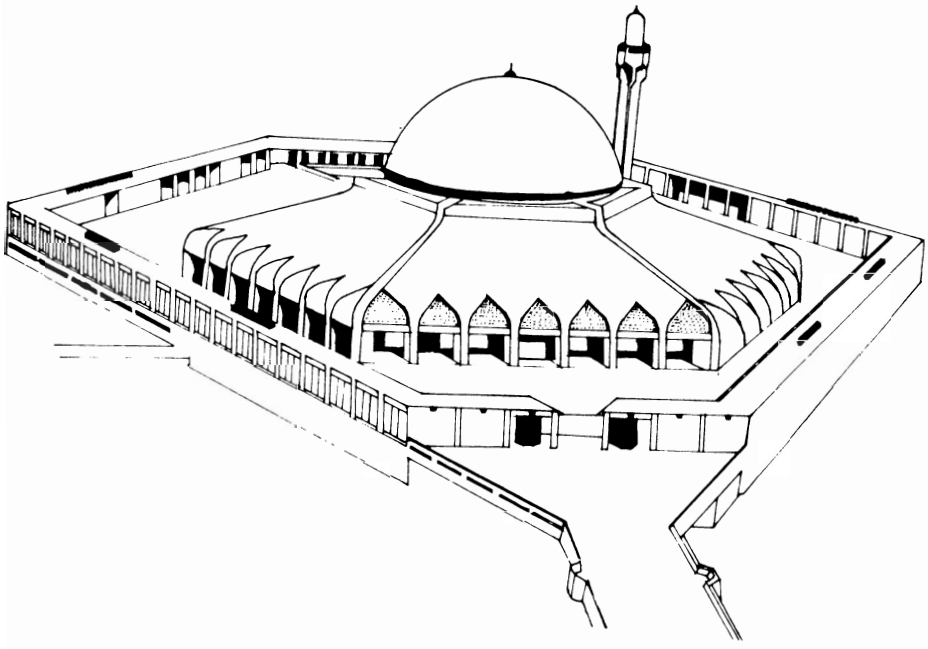

شـــكل ٧ (ب) . صورة لداخل مسجد مطار الملك خالد[٢٠ ، ص٢٧] .

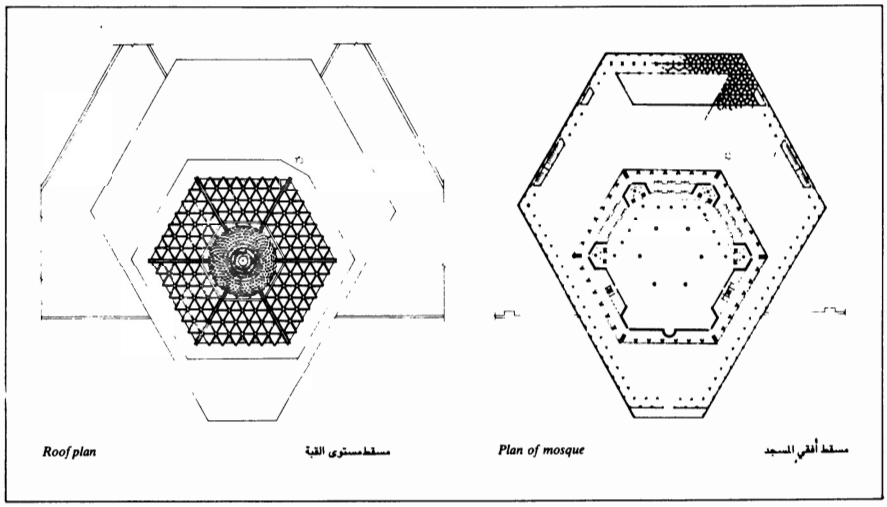

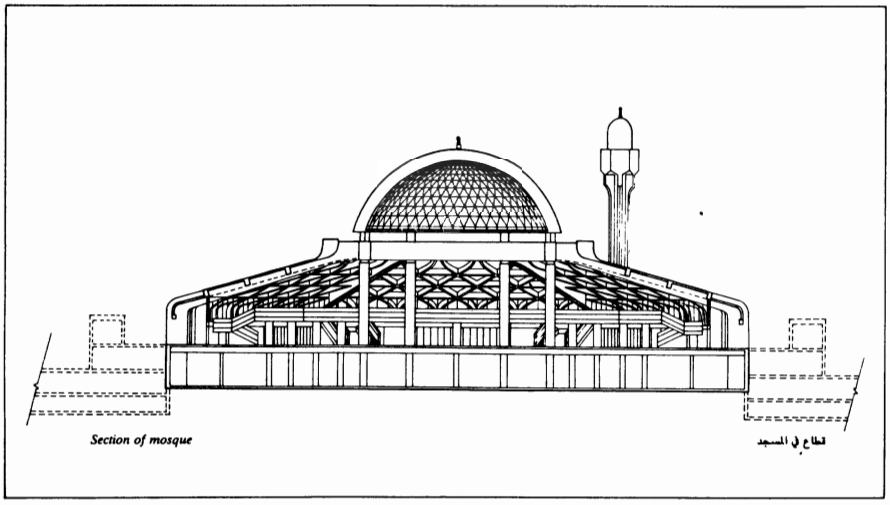

شـــكل ٧ (جـ) . مسقط أفقي وقطاع في مسجد مطار الملك خالد[٢٠ ، ص٢٧] .

ويمكن القول بأن مسجد المطار فريد من نوعه في منطقة الرياض إن لم نقل في المملكة ، إذ إن معظم المساجد الكبير ذات مسقط أفقي مستطيل أو مربع ، مع أن هناك بعض المساجد الصغيرة ذات المسقط الثـماني أو السـداسي مثـل المسجـد المـوجود في المنطقة الصناعية القديمة في الرياض ، وهو ذو مسقط سداسي ، والمسجد الموجود في تقاطع شارع العليا وشارع الجامعة ومسقطه ثماني . وكما ذكرنا سابقًا ، فإن

مسجد قبة الصخرة هو أول مسجد شبه دائري في الإسلام ، وهو أحد روائع العمارة الإسلامية ، وأصبح نموذجًا يحتذى به في الكثير من تصميمات المساجد . ولا ريب أن تصميم مسجد مطار الملك خالد قد تأثر بمسجد قبة الصخرة (شكل ٨) . ولا بأس هنا أن نذكر شيئًا عن تاريخ هذا المسجد .

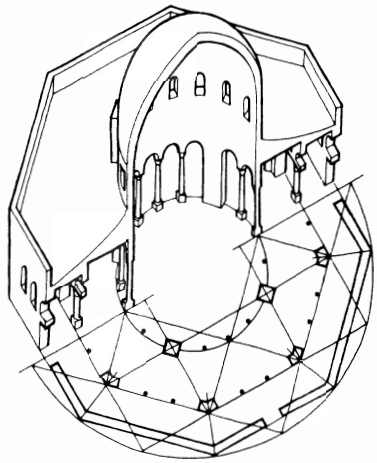

شكل ٨ . مقطع في مسجد قبة الصخرة[٢١، ص٤٨].
(المصدر : المؤلف)

يرى أحمد عبد الفتاح[٤، ص٤٢] أن مسجد قبة الصخرة هو المبنى الإسلامي الوحيد الذي صمم لكي يصبح مزارًا ، حيث إن المخطط عبارة عن حلقات من الأروقة بعضها داخل بعض . ويحوي المسجد في وسطه الصخرة المشرفة التي أسرى منها النبي محمد ﷺ . ويروي اليعقوبي[٩، ص١٨] أن أحد أسباب بناء مسجد الصخرة هو أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان كان يريد تحويل الناس عن الحج إلى مكة المكرمة التي كانت حينئذ تحت سلطة ابن الزبير ، الذي كان خارجًا على الخلافة الأموية . وكان يريد أيضًا أن يكون للمسلمين في الشام مساجد لا تقل روعة عن كنائس المسيحيين ، فاستوحي تصميم مسجد الصخرة من الكنائس البيزنطية الثمانية المخطط ، الموجودة في الشام ، مثل كنيسة القديس يوحنا في جرش وكنيسة الصعود في جبل الزيتون[٧، ص٢٢ ؛ ١، ص١٦].

ومن المساجد الضخمة الموجودة في الرياض ، المسجد الرئيس في جامعة الملك سعود (شكل ٩) . صمم هذا المسجد باسل البياتي ، وهو عبارة عن قاعة مستطيلة تفتح على فناء . في القاعة ممر رئيس متعامد على المحراب توجد في نهايته قبة صغيرة ، وسقفه أعلى من بقية سقف المسجد ، وهو بهذا يشبه المسجد الأموي في دمشق والمسجد الأقصى في القدس ومسجد ابن طولون في القاهرة . من الخارج زُين الجدار الخارجي بعدد كبير من الدعائم التي تبدو من الخارج مفرطة في الضخامة ، بينما هي للزخرفة . وقد حفر عليها أنماط يقول البياتي أنها مستوحاة من شكل جذع النخلة[١٨، ص٦٦]. وبغض النظر عن مناسبة التشبه

بالنخلة هنا ، فإن وجه الشبه لا يبدو واضحًا لأول وهلة بل تبدو الدعائم تجويفات لا تتصل بطريقة متقنه بالأقواس التي تعلوها ، والتي ربما قصد البياتي تشبيها بسعف النخيل . وفي منطقة السقف القريبة من المحراب وضعت قبة صغيرة لا تتناسب في حجمها مع كتلة المسجد . كذلك المنارة الوحيدة صغيرة وبعيدة عن القبة ، بحيث لاتشكل معها تكوينًا مترابطًا واضحًا في تسلسل الأهمية البصرية .

شـــكل ٩ (أ) . مسجـــد جامعـــة الملك سعـــود
(المصدر : المؤلف)

من الداخل يبدو المسجد مفرطا في الزخرفة والتفاصيل ، كذلك الفناء الصغير وضعت به بركة ماء كبيرة على شكـل نجمة وعلى مستوى منخفض عن مستوى القاعة ، وبهذا أصبح الفناء غير قابل للاستعمال كامتداد لقاعة الصلاة إذا لزم الأمر . كذلك كتل الدعائم الهائلة لا تتناسب إطلاقًا من حيث الحجم مع بقية تفاصيل الفناء .

وفي حي السفارات في غرب الرياض نجد مساجد حديثة حاول مصمموها بناءها باستخدام مفردات معمارية مستقاة من عمارة المساجد التقليدية في منطقة الرياض . من هذه المساجد المسجد الكبير المطل على ساحة الكندي في حي السفارات (شكل ١٠) . صمم هذا المسجد وكذلك الساحة المحيطة به (التي فازت بجائزة الأغا خان للعمارة الإسلامية) مكتب البيئة المعماري . ويبدو أن المصممين أرادوا أن يعكس هذا المسجد العمارة المحلية النجدية إلى أكبر حد ممكن . داخل المسجد مثلاً غابة من الأعمدة ، وهو بذلك يشبه مسجد الديرة الذي كان أحد المساجد الرئيسة في الرياض قبل أن يُزال ويستبدل بمسجد حديث .

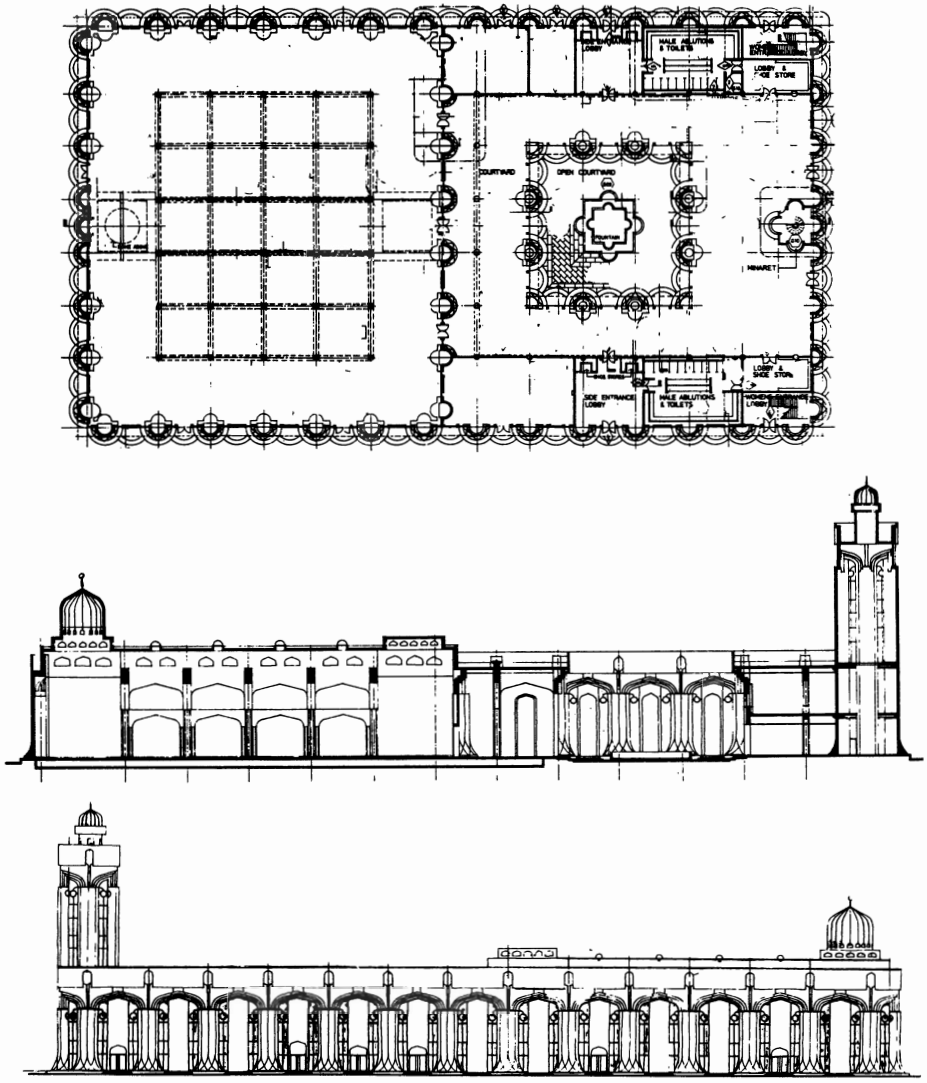

شـــكل ٩ (ب) . مسقط أفقي وواجهة وقطاع في مسجد حرم جامعة الملك سعود[٢٧، ص ص ١٤٨-١٥٢].

كذلك المئذنتين الموجودتين بهذا المسجد تستوحيان شكلهما من المـآذن المحلية التقليدية .

وفي الأحياء السكنية في حي السفارات عدد من المساجد الأصغر حجمًا ، التي صممها مكتب الشتري (شكل ١١) ، والتي نجح فيها إلى حد كبير في التوفيق بين استخدام الحلي والمفردات المعمارية التقليدية وبـين المتـطلبات التصميمية الحديثة في المساجد . إن شكل المنارة تقليدي ، وكذلك المعالجة الخارجية

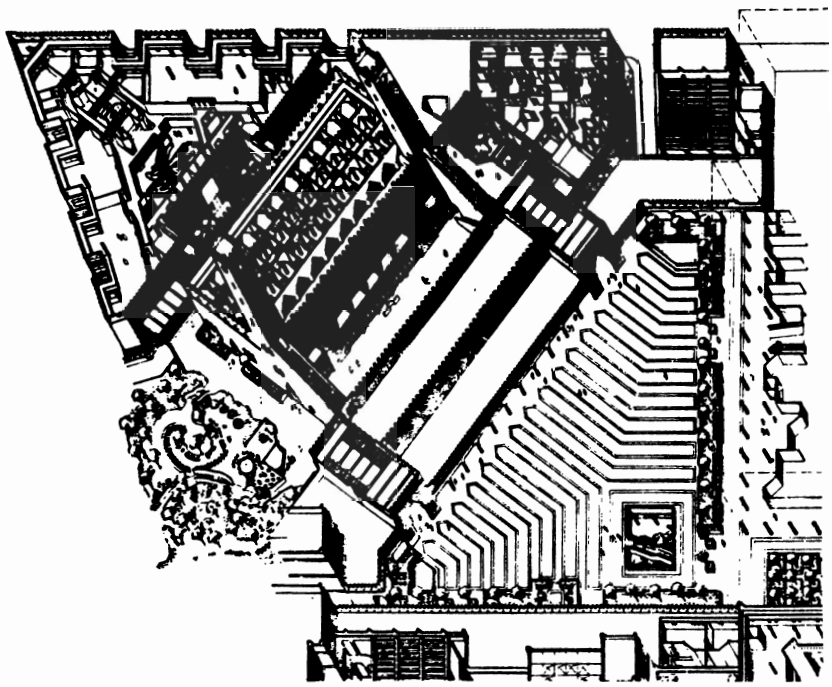

شـــكل ١٠ (أ) . اكسنومتري أزيلت منه بعض الأسقف يوضح مسجد ساحة الكندي[٢٢، ص٣٥].

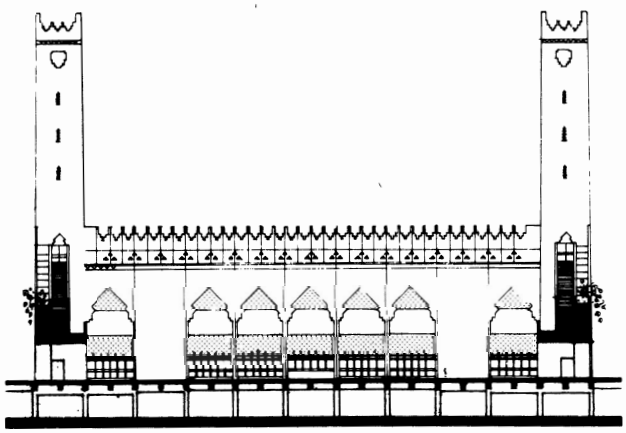

Section BB قطاع BB

شـــكل ١٠ (ب) . الواجهـــة الرئيسة لمسجد ساحة الكندي كما تبدو من الفناء[٢٤، ص٥٤].

للجدران مع وجود قدر قليل من الزخرفة يذهب الملل من تلك المساحات الكبيرة من الأسطح . إلا أن الفراغ الداخلي أنيق وعملي . ليس هناك ذلك العدد الكبير من الأعمدة التي تعوق الرؤية والحركة ، والتي ليس هناك سبب إنشائي لوجودها عند استخدام الخرسانة المسلحة . كما استخدم الشتري طريقة مبتكرة لإدخال الضوء الطبيعي إلى قاعة الصلاة . يدخل الضوء عن طريق أهرامات شفافة من الأكرليك موجودة فوق الأعمدة مباشرة ، إذ إن الأعمدة نفسها تتحول إلى قاعدة هرمية لتحمل السقف .

٥ . ملخـــــــــــص

لم تتغير أساليب بناء المساجد وطرازتها في منطقة الرياض كثيرًا منذ بزوغ فجر الإسلام وحتى منتصف القرن العشرين . كان الطين هو مادة البناء الأساسية وكانت المساجد عبارة عن فناء بأحد جوانبه رواق

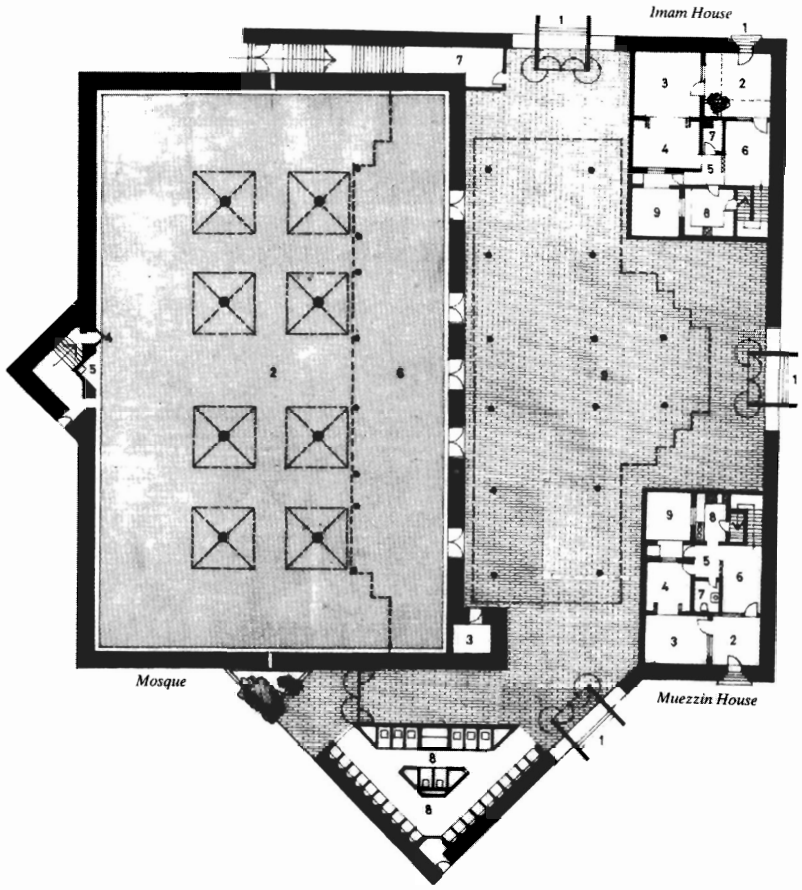

شـــكل ١١ (أ) . مخطط أفقي لأحد مساجد المناطق السكنية في حي السفارات[٢٣، ص٩٢].

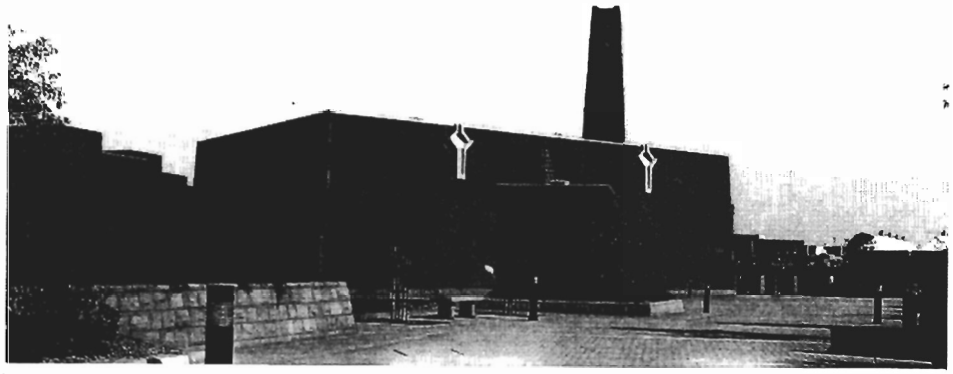

Mosque from outside المسجد كما يبدو من الخارج

شـــكل ١١ (ب) . المسجـــد من الخـــارج [٢٣، ص٩٣].

Mosque from inside المسجد من الداخل

شـــكل ١١ (جـ) . المسجـــد من الداخـــل [٢٣، ص٩٤].

مفتوح مغطى بجذوع الأثل وسعف النخل والطين . بعد منتصف هذا القرن دخلت الخرسانة المسلحة إلى تقنية البناء في المملكة وأصبحت المساجد تبنى من الخرسانة ووصلتها الكهرباء وإمدادات المياه البلدية . في البداية كانت المرواح السقفية هي وسيلة تكييف الهواء الوحيدة ، ولم يكن لها أثر كبير على التصميم . تلا ذلك استعمال المكيفات الصحراوية ثم مكيفات الفريون ، مما أدى إلى تحويل الرواق إلى قاعة مغلقة مكيفة واختفى الصحن من الكثير من المساجد الحديثة . وأمكن الارتفاع شاهقًا بالمنارات باستخدام تقنية الخرسانة المسلحة ، كما بدأت القباب تظهر في المساجد الكبيرة في الرياض . وبسبب استخدام مكبرات الصوت انتفت الحاجة إلى صعود المؤذن إلى أعلى المنارة وأصبحت المنارة تكوينًا تجريديًا رمزيًا يتفنن المعماريون في تصميمه .

ويبدو واضحًا في مساجد الرياض التأثر بالطرز المعمارية الموجودة في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي . على سبيل المثال ، مسجد مطار الملك خالد ، ذو المسقط السداسي ، متأثر بمسجد قبة الصخرة المشرفة في القدس ، بينما مسجد جامعة الملك سعود متأثر بالمسجد الأموي في دمشق ، ومسجد الملك خالد في أم الحمام متأثر بالمساجد العثمانية . مع ذلك هناك محاولات مختلفة لتصميم مساجد حديثة تستوحي أفكارها التصميمية من المساجد التقليدية التي كانت شائعة في منطقة الرياض . من هذه المساجد المسجد الكبير في حي السفارات الموجود في ساحة الكندي ، والمساجد الموجودة في الأحياء السكنية في نفس الحي .

ولا ريب أن استخدام الخرسانة المسلحة وانتشار المساجد ذات المنارات العالية في كل أحياء الرياض قد غير كثيرًا من مظهر الرياض ومنظر خط الأفق فيها . وأصبحت المساجد بالإضافة إلى كونها دورًا للعبادة معالم معمارية تميز الأحياء وتضيف إليها جمالاً معماريًا ورونقًا .

المـــــراجـــــــع

[١] **Hoag, John, D.,** *Islamic Architecture,* Harry N. Abrams, New York (1977).

[٢] **حسين ، محمد كمال** ، انتشار الإسلام وأشهر مساجد المسلمين في العالم ، دار الفكر العربي ، القاهرة (١٩٧٦) .

[٣] **مصطفى ، صالح لمعي** ، النمو العمراني وخصائصه في المدينة المنورة ، أبحاث من ندوة المدينة العربية ، المعهد العربي لإنماء المدن ، الرياض (١٩٨٢) ، ص ص ١٤٠-١٥٣ .

[٤] **عبدالفتاح ، أحمد كمال** ، التطور التاريخي للمسجد ، البنـــاء ، **السنة الأولى** ، العدد الأول ، (فبراير ، مارس ١٩٧٩م) ص ص ٢٨-٤٥ .

[٥] **الولي ، طه** ، المساجد في الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت (١٩٨٨) .

[٦] **حميدة ، محمد** ، عمارات المسجد النبوي وتوسعته عبر التاريخ ، جريدة المدينة ، ملحق خاص ، العدد ٧٧ ، شعبان (١٤١٠هـ) .

[٧] **الشستاوي ، حسن** ، الفن الإسلامي ، البنـــاء ، **السنة الأولى** ، العدد الأول ، (فبراير ، مارس ١٩٧٩م) ، ص ص ١٠٤-١١٣ .

[٨] رسلان ، عبد المنعم عبد العزيز ، المساجد في صقلية ، رسالة المسجد ، المجلد الأول ، العدد الثاني (فبراير ١٩٧٩م) ، ص ص ٤٤-٥٥ .

[٩] **Creswell, K.A.C.,** *A Short Account of Early Muslim Architecture,* Penguin Books, London (1958).

[١٠] محمد ، سعاد ماهر ، العمارة الإسلامية على مر العصور ، دار البيان العربي ، جدة (١٩٨٥) .

[١١] غالب ، عبد الرحيم ، موسوعة العمارة الإسلامية ، جروس برس ، بيروت (١٩٨٨) .

[١٢] **Kuban, Dogan,** *Muslim Religious Architecture,* E.J. Brill, Leiden, Netherland (1974).

[١٣] عبد الفتاح ، أحمد كمال ، أنواع المساجد ، البنـــاء ، السنة الأولى ، العدد الأول ، (فبراير ، مارس ١٩٧٩م) ص ص ٤٦-٥١ .

[١٤] الوكيل ، عبد الواحد ، التصميم المعماري للمساجد ، البنـــاء ، السنة السادسة ، العدد ٣٤ (إبريل-مايو ١٩٨٧) ص ص ٢٢-٢٧ .

[١٥] وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، الكتاب الإحصائي السنوي ، العدد ٢٧ ، (١٤١١-١٩٩١) ، ص ٢٤٨ .

[١٦] **King, G.R.D.,** *The Historical Mosques of Saudi Arabia,* Longman, London (1986).

[١٧] علام ، نعمت إسماعيل ، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، (١٩٧٧) .

[١٨] **Al-Bayati, Basil,** *The City and The Mosque,* AARP, Oxford, U.K. (1984).

[١٩] مطار الملك خالد الدولي - الرياض ، البنـــاء ، السنة الخامسة ، العدد ٢٦ ، (ديسمبر/يناير ٨٥-١٩٨٦) ص ص ٤٢-٤٦ .

[٢٠] **Fayez, Zuhair,** *Saudi Arabia, A Cultural Perspective,* Zuhair Fayez and Associates, Jeddah (1988).

[٢١] **Mansel, George,** *Anatomy of Architecture,* Hamlyn, London (1979).

[٢٢] البيئة ، مخططون ومعماريون ومهندسون ، البيئـة - التجربـة المعماريـة ، البيئة ، الرياض ، (١٩٨٩) .

[٢٣] مساجد الحي الدبلوماسي ، البنـــاء ، السنة الخامسة ، العدد ٢٧ ، (فبراير/مارس ١٩٨٦) ص ص ٩٢-٩٦ .

[٢٤] التصميم المعماري للجزء رقم ٣ ، الحي الدبلوماسي ، البنـــاء ، السنة الخامسة ، العدد ٢٧ ، (فبراير/مارس ١٩٨٦م) ص ص ٥٣-٦٠ .

[٢٥] **Michell, George,** (ed.), *Architecture of the Islamic World: Its History and Social Meaning,* Thames & Hudson, London, pp. 10-47 (1978).

[٢٦] **Ardalan, Nader,** The Visual Language of Symbolic Form: A Preliminary Study of Mosque Architecture, *in:* **Hold, Renata** (ed.), *Architecture as Symbol and Self-identity,* The Aga Khan Award for Architecture, *Proceedings of Seminar Four, Held in Fez, Morocco, October, 9-12 (1979),* pp. 18-36.

[٢٧] **Anonymous,** *Basil Al-Bayati, Architect,* Academy Editions, London (1988).

The Development of Mosque Architecture in Riyadh, Saudi Arabia

MOHAMMED HUSSEIN AL-IBRAHIM
Dept. of Planning and Urban Studies, College of Architecture and Planning, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

ABSTRACT. Until the middle of the 20*th* century mud was the principle building material in the Riyadh area. A traditional mosque was basically a court in which one side is covered by a portico whose roof is built of tree trunks, mats, and mud. Only large mosques had minarets. When there is one, it is usually a low square tower, few meters high, accessible from the roof of the mosque. Al-Mihrab was a semi-cylindrical niche in the middle of the qibla wall. In the mosques where Friday prayers are performed, a simple minber may be available. After the increase in national income that came with the discovery of oil in the middle of this century reinforced concrete became the dominant construction method and mosques started to be built of concrete. The use of desert coolers and later Freon air-conditioning units required enclosing the prayer area. Gradually the court disappeared from many of the modern mosques. The use of loudspeakers obviated the need for the moa'zin to climb to the top of the minaret. As a result the minaret became more of a symbol than a mean to spread the moa'zin message. New floor plans, such as the hexagon and octagon, appeared as well. The influence of architectural styles from other Moslem countries is evident in Riyadh mosques yet, they are attempts to integrate visual elements from traditional local architecture into modern mosques.